التجربة الصينية
الماضي الحاضر والمستقبل

عرض: محمد فوزي حسن
مستشار إعلامى سابق بسفارة مصر بالكويت

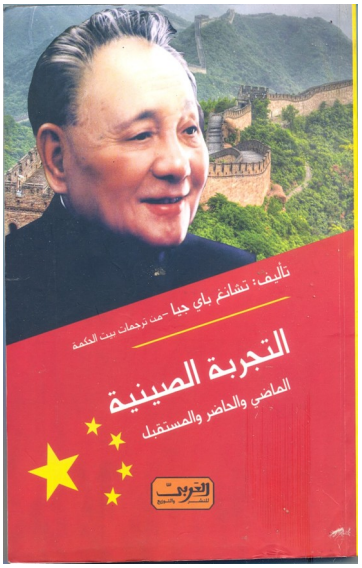

اسم الكتاب : التجربة الصينية.. الماضي والحاضر والمستقبل

اسم المؤلف : تشانج باي جيا، ترجمة مريم حسين وآخرين، من ترجمات "بيت الحكمة"

دار النشر : دار العربي للنشر والتوزيع، القاهرة.

تاريخ الإصدار : ٢٠١٧

عدد الصفحات : ٢٣٢ صفحة من القطع المتوسط.

يسلط كتاب (التجربة الصينية الماضي والحاضر والمستقبل) الضوء على التجربة الصينية الفريدة التي صارت تشهد رواجاً كبيراً في العالم، حيث بات الجميع يتطلعون للوقوف على أسرار هذه التجربة الشاملة والمتفردة والتي كان عنوانها الرئيس وسر نجاحها بحسب رؤية المؤلف الصيني تشانغ باي جيا "الاصلاح والانفتاح"، حيث أصبحت الصين الناهضة عنصراً مهماً يؤثر في الاتجاهات السياسية والاقتصادية العالمية الحالية.

ويستعرض "جيا" في كتابه عبر خمسة أبواب التجربة الصينية وعناصرها من الزاوية التاريخية، حيث تناول بدايات الإصلاح والانفتاح في أواخر سبعينات القرن العشرين عندما ظهرت كلمتا "الإصلاح" و"الانفتاح" في الصحف الصينية بمعنى غير مسبوق، إيذاناً ببدء عصر جديد، لكن كان من الصعب على الصينيين آنذاك التنبؤ بالتغيرات التي

ستحدث في الصين، وكان الأصعب تخيل التأثير الذي ستحدثه بلادهم المستقبلية في العالم.

كما تناول الكاتب كيفية حدوث الاصلاح والانفتاح الصيني وعلاقته بالمراحل التاريخية السابقة، وكيفية تقدمه، والفكر التوجيهي الأساسي والاستراتيجيات المتبعة فيه، ومحتوى الاصلاح وإجراءاته في كل مرحلة، وأيضاً التغير الاجتماعي الذي صاحبه، ومسيرة التوحد الوطني، وعلاقات الصين مع العالم الخارجي، فقد كان التحول شاملاً وعميقاً – كما يوضح الكتاب – ولا يكفينا لمعرفة أسباب هذا التحول الصيني فهم مسيرة الإصلاح والانفتاح، فقط بل علينا أيضاً أن ننظر إلى تاريخ الماضي برؤية أوسع، في الواقع عاش المجتمع الصيني طوال ما يقرب من قرن مضى تغيرات متواصلة، ولم يكن التغير في العقود الثلاثة الأخيرة سوى امتداد وتطور لتاريخ الصين منذ أكثر من ١٠٠ عام.

وقد تحدث الكتاب عن انجازات التجربة الصينية وما حققته خلال ثلاثين عاماً من الإصلاح والانفتاح والتي وصفها بـــ "المذهلة" في مجال الاقتصاد والتحديث، وإحرازها تقدم كبير في قضية إعادة توحيد البلاد، والتغيرات العميقة التي شهدها المجتمع الصيني، بل وتجاوز ذلك التأثير بعده الداخلي حيث أصبحت الصين قوة صاعدة تجذب أنظار العالم وخلق معجزة في تاريخ التنمية الاقتصادية العالمية.

تطرق المؤلف إلى نظرية "تحسّسُ الأحجار عند عبور النهر" التي تبناها الزعيم الصيني "دنغ شياو بينغ" – قائد التجربة الاقتصادية الصينية – باعتبارها أحد أهم الركائز في مسيرة الاصلاح والانفتاح الصيني، وأدت دوراً رائداً ضخماً في التحرر الفكري الجريء والدفع الايجابي الفعال للإصلاح، وأصبحت تعبيراً تقليدياً معروفاً في الصين، وهي مقولة تشبيهية تصور الحذر عند انجاز المهام، والعمل مع تلمس الخبرات وتلخيصها باستمرار أثناء الممارسات الشجاعة، وتم طرحها في ديسمبر عام ١٩٨٠ في اجتماعات اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصيني.

مراحل تجربة الاصلاح والانفتاح في الصـين

قسم الكاتب مراحل الاصلاح والانفتاح في الصين إلى أربعة مراحل تاريخية:-

المرحلـــة الأولـــى:

استمرت من أواخر عام ١٩٧٨ حتى عام ١٩٨٢، وتضمنت مجالين رئيسين الأول: هو الشروع في الاصلاح والانفتاح واستكشاف الطرق الجديدة، فاتخذ الاصلاح والانفتاح أسلوب "تحسس الأحجار عند عبور النهر" بسبب عدم وجود نموذج جاهز يمكن اتباعه وأخذ يتحسس مكان الخطوة ثم يتقدم.. والثاني: هو حل المشكلات التي خلفها تاريخ "الثورة الثقافية الكبرى" والعمل على ازالة الفوضى واعادة النظام الشامل، ويلاحظ هنا أن الاصلاح الصيني قد شمل كلا من المجالين الاقتصادي والسياسي من بدايته، فقد قام الاصلاح في المجال السياسي بدور تطهير الطريق للاصلاح الاقتصادي عندما بدأ الأخير مسيرته.

المرحـــلة الثانيـــة:

انطلقت مع انعقاد مؤتمر نواب الشعب الصيني الثاني عشر للحزب الشيوعي الصيني في سبتمبر عام ١٩٨٢، وتعد مرحلة العمل الشامل لمدة تقارب عقداً من الزمان، وكان لهذه المرحلة ميزتان جديدتان: الأولى، تشكيل الحزب الشيوعي الصيني تدريجياً فكر الاشتراكية ذات الخصائص الصينية ونظرياتها، وأدت تلك الافكار والنظريات بمجرد تشكيلها دوراً ارشادياً مهما في مسيرة الاصلاح والانفتاح.. والثانية: بدء البناء التحديثي للصين، ونمو الاقتصاد الوطني خطاهما نحو المضي قدماً وفقاً لبرنامج استراتيجي، وتغير بالفعل إلى حد ما وضع "تحسس الاحجار عند عبور النهر" السابق.

المرحلـــــــة الثالثـــــــة:

كان عام ١٩٩٢ عاماً محورياً في مرحلة الاصلاح الثالثة المقدر لها عشرة أعوام تزامن مع عقد المؤتمر الوطني الرابع عشر للحزب الشيوعي الصيني، وكان هدف اصلاح النظام الاقتصادي خلالها هو تأسيس نظام اقتصاد السوق الاشتراكية حيث اتخذت هذه المرحلة هدفاً محدداً خطا خلالها الحزب الصيني خطوات أولى نحو تأسيس نظام السوق الاشتراكية وارتقاء المستوى المعيشي للمواطنين في مجمله.

المرحلـــــة الرابـــــــعة:

دخل الاصلاح والانفتاح الصيني مرحلة جديدة في مطلع القرن الحادي والعشرين، وهي مرحلة "البناء الشامل لمجتمع رغد" والتي طرحها المؤتمر الوطني السادس عشر

للحزب الشيوعي الصيني رسمياً عام ٢٠٠٢ وحددت مهلة لتنفيذ اهداف تلك المهمة حتى عام ٢٠٢١، وطرح بعدها برنامج "تعميق الاصلاح الشامل اقتصاديا وسياسيا وعسكريا" وتحديد الاتجاه والاهداف المستقبلية للاصلاح وبناء المؤسسات في الصين، كوثيقة منهجية توجه مستقبل الاصلاح في الصين.

خلص الكتاب إلى أن تطبيق سياسة الاصلاح والانفتاح والسير على طريق الاشتراكية ذات الخصائص الصينية تعد امتدادا لتطور تاريخ الصين الحديث، ونتيجة التجارب والخبرات الماضية التي اكتسبها الحزب الشيوعي والشعب الصيني وهو ما يؤشر لنجاح التجربة الصينية، حيث حقق الإقتصاد الصيني خلال أكثر من ٣٠ عاماً، منذ بدايات "الاصلاح والانفتاح" قفزة سريعة نحو التحديث، ودخل حالياً مرحلة من الإرتفاع المطرد، وأصبحت الصين قوة كبرى ناشئة معترف بها عالمياً، وارتفعت مكانتها الدولية ونفوذها الدولي كثيراً، وشهد المجتمع الصيني تغيرات عميقة وبرز التقدم في جميع المجالات، ولم تكتف الصين بزيادة نمو الاقتصاد الوطني، بل اهتمت ايضا ببناء النظام القانوني وتوحيد البلاد وحصد ثمار هائلة للدبلوماسية الخارجية وغيرها من المجالات ببلوغ القرن الحادي والعشرين، ويعتبر ذلك التطور والتحديث أمراً لم يسبق له مثيل، فيما لا زالت الصين تنفذ سياسة الاصلاح والانفتاح التي لم تنتهي بعد والتي تشمل جميع المجالات: الاقتصادي والسياسي والثقافي والاجتماعي والبيئي.

واختتم المؤلف بطرح تصوره بأن الاصلاح والانفتاح الصيني لم ينته بعد، وما زال على الطريق الكثير من العقبات والصعوبات، لتنفيذ أهداف الصين وهي بناء مجتمع رغد بمستوى أعلى لاكثر من مليار شخص بحلول عام ٢٠٢١، وتحقيق التحديث بصورة أساسية بحلول منتصف القرن الواحد والعشرين، فيما يواصل الشعب الصيني نضاله ليس فقط من اجل تحقيق الحلم الصيني، بل ايضا من اجل تقديم اسهامات اكبر للسلام والتنمية والتعاون في العالم، مسترسلاً بأن لكل شعب من شعوب العالم حلماً يسعى إليه، وللشعب الصيني كذلك حلمه الخاص، وأن هذا الحلم مد جذوره في تاريخ الأمة الصينية وثقافتها، واندمج كذلك في فهمهم للعالم الخارجي.